طلعنا عالحريّة

شهرية ثقافية مستقلة

العدد 59

2015 / 11 / 17

مجزرة باريس..
وتعقيدات المبادئ والسياسة

تحمل كل مأساة معها فرصة لاستعادة الإنسانيّة المخطوفة لصالح السياسة.. يحدث ذلك فقط عندما يكون الموقف من الإرهاب موقفاً مبدئيّاً متحرراً من الحسابات. نحتاج اليوم إلى إدانة القتل.. كل القتل، كل العنف، كل الإرهاب..

ملف العدد
منظمات المجتمع المدني السوريّة

مجلة مستقلة، تعنى بشؤون الثورة السورية، نصف شهرية، تطبع وتوزع داخل سوريا وفي عدد من مخيمات اللجوء والتجمعات السورية في الخارج

مجزرة باريس..
وتعقيدات المبادئ والسياسة

افتتاحية بقلم عماد العبار

عامٌ ثقيل مرّ على الفرنسيّين. بدأ بهجوم إرهابيٍّ على موقع صحيفة شارلي إيبدو وراح ضحيّته 12 ضحيّة، وها هو ينتهي بمجزرة رهيبة تهزّ المجتمع الفرنسي ولم تعرف الحصيلة النهائيّة لعدد ضحاياها حتّى اللحظة.. المجزرة المروّعة يرى فيها كثيرون حدثاً يعادل اعتداءات أيلول التي ضربت الولايات المتّحدة، فالأسلوب الذي تمّت به العمليّة والتنسيق عالي المستوى، والأسلحة المستخدمة، ومحاولة استهداف ملعب يجمع عشرات الآلاف من المشجّعين بحضور الرئيس الفرنسي مع شخصيات سياسية، كل هذه العوامل تجعل من المجزرة حدثاً استثنائيّاً بكلّ المقاييس.. سيّما وأنّ المجتمعات الأوروبيّة، المجتمع الفرنسي على وجه الخصوص، تغلي بحوارات على المستوى السياسي والاجتماعي حول مشاكل الاندماج والهويّة، وحول الآثار الاقتصاديّة لظاهرة الهجرة.. في ظلّ هذه الأجواء التي كان فيها الوجود الإسلامي في فرنسا مادّةً رئيسيّة في البرامج الانتخابيّة للأحزاب المتنافسة، تأتي المجزرة المروّعة لتعطي دفعاً هائلاً للأحزاب اليمينيّة المتطرّفة التي حقّقت تقدماً كبيراً في الانتخابات الإقليميّة الأخيرة..

على المستوى الدولي، جاءت المجزرة في ظرف بالغ التعقيد لتزيد من خلط الأوراق على الساحة السوريّة بشكل خاص. تقف فرنسا موقفاً واضحاً ضدّ تنظيم الدولة وتخوض مع الولايات المتحدة حرباً ضدّه في سوريا، وضدّ فصائل السلفيّة الجهاديّة في عدّة مناطق من إفريقيا، وهنا يمكن القول إنّها كانت منذ فترة طويلة مستهدفة من قبل هذه التنظيمات وأنصارها في أوروبّا، سيما وأنّ نسبة الجهاديّين من أصول فرنسيّة في صفوف تنظيم الدولة هي الأعلى من بين جميع الجنسيّات الغربيّة، ويبدو أنّ ازدياد الضغط على التنظيم وتلقّيه ضربات موجعة في الفترة الأخيرة جعله يتوجّه إلى هذه النوعية من العمليّات في العمق الأوروبيّ، الأمر الذي يعيد الثقة بقدراته بين صفوف أتباعه، وهذا ما سيؤدّي أيضاً إلى زيادة عدد أتباعه في دول أوروبّا، ولا يستبعد أن يؤدي ردّ الفعل الخاطئ تجاه المتشدّدين في أوروبا إلى زيادة العصبيّة والتوحّش عند أتباع التنظيم، وبالتالي ارتفاع منسوب العنف والإرهاب..

من جهة ثانية، تقف فرنسا موقفاً حازماً في وجه نظام بشار الأسد، وهي متّهمة من قبل رأس النظام بدعمها للمعارضة والعمل على إسقاطه، وليس أدلّ على ذلك من الخروج الشامت للأسد بعد ساعات من حدوث المجزرة، وقد عمل الأسد على الربط بين سياسة فرنسا في دعمها ما أسماه الإرهاب وبين تعرّضها للعمليّات الإرهابيّة.. الأحداث الأخيرة أعطت الأسد ونظامه أملاً جديداً بالنجاة، فقد رأى مؤيّدوه أن هذا سيدفع فرنسا للتحالف مع الروس لإعطاء الأولويّة لمكافحة الإرهاب وإعادة الإعتبار لنظام الأسد لكون وجوده ضرورة في هذه المرحلة.. تتلاقى إذاً مصالح الأسد مع مصالح تنظيم الدولة في المجزرة الأخيرة، وهي ليست المرّة الأولى التي تتلاقى فيها مصالح الطرفين بما يخدم تمدّد التنظيم واستمرار النظام.. ويكاد غالبية المراقبين يُجمعون على أنّ مصلحة السوريّين تلقّت ضربة جديدة بفعل هذا الجنون.. ليس في الداخل فحسب، بل في كلّ مكان، ومعها مصلحة جميع المسلمين المقيمين في أوروبّا..

في ظل كل هذه التعقيدات ظهرت تعقيدات جديدة سبّبتها المواقف الحادّة من الجريمة مقارنة بالمواقف الهزيلة من الجرائم التي ترتكب في مناطق أخرى من العالم، وفي مقدمتها جريمة الإبادة التي يتعرّض لها الشعب السوري من قبل أطراف عديدة.. اللافت كان حجم التضامن العالمي مع الضحايا وعائلاتهم ومع المجتمع الفرنسي ككل، دول عديدة زيّنت ساحاتها بالعلم الفرنسي، من أمريكا إلى المكسيك إلى أستراليا ومعظم دول أوروبا والعالم.. وهو تفاعل إنساني إيجابي ولا شكّ. اللافت أيضاً تفاعل كثيرين في عالمنا العربي مع الحدث، في الوقت الذي لم يحصل فيه عشرات الآلاف من الضحايا في سوريا على معشار هذا التأييد، وهنا أذكر بكثير من الأسى مجزرة الكيماوي التي اكتفى العالم الغربي بمعاقبة الفاعل من خلال سحب أداة الجريمة من يده وإطلاقه لاستكمال مهمّته الدمويّة باستخدام البراميل! وفي سوريا نفسها هناك من شكّك بمسؤوليّة النظام عن مجزرة الكيماوي، ولم يسجّل تعاطفه مع الضحايا لاعتبارات عدّة تتعلق بانتماءات سياسيّة أو طائفية أو إثنيّة.. وهناك من يفرّق بين ضحايا وضحايا وبين إرهاب وإرهاب!

تحمل كل مأساة معها فرصة لاستعادة الإنسانيّة المخطوفة لصالح السياسة.. يحدث ذلك فقط عندما يكون الموقف من الإرهاب موقفاً مبدئيّاً متحرراً من الحسابات. نحتاج اليوم إلى إدانة القتل.. كل القتل، كل العنف، كل الإرهاب..

العنف باسم الإسلام.. العنف باسم الديمقراطية.. العنف باسم القومية العربية.. العنف باسم القومية الكرديّة.. العنف باسم العلمانيّة.. باسم الإلحاد.. باسم الحسين وزينب.. باسم اليهودية والمسيحية.. باسم البوذية.. باسم الشيوعية.. باسم أو بدون اسم.. أو العنف لمجرّد العنف..

من يتردّد في إدانة العنف لاعتبارات تتعلّق بانتمائه للجماعة المدانة فهو بحاجة إلى علاج نفسي.. هو مشروع إرهابي ببساطة..

طلعنا عالحريّة

مجلة نصف شهرية تعنى بشؤون الثورة
تطبع وتوزع داخل المدن والقرى السورية
وفي بعض مخيمات اللجوء

للنشر أو مراسلة فريق التحرير
freedomraise@gmail.com

- المقالات المنشورة تعبر عن آراء أصحابها ولا تعبر بالضرورة عن آراء هيئة التحرير
- الجريدة غير ملزمة بنشر كل ما يردها من مواد.

تفاعل معنا عبر صفحاتنا على الإنترنت
www.freedomraise.net
facebook.com/freeraise
twitter.com/freedomraise

رئيس التحرير
ليلى الصفدي

معاون رئيس التحرير
أسامة نصّار

المحرر الثقافي
رامي العاشق

محرر القسم الكوردي
ميرال بيروردا

زملاء مختطفون في الغوطة الشرقية
رزان زيتونة - ناظم حمادي

منظمات المجتمع المدني.. الثورة الهادئة

د. محمّد العمّار

نحن أبناء ثقافة تتعامل مع المفاهيم والمصطلحات والأحداث من خلال الإسمية أو الشعاراتية، والشائعة، والرعب أو هوس الاضطهاد وروح الهزيمة، وهذا يشوه صورة الأشياء والأفكار في أذهاننا ويعيق تواصلنا مع العالم.

ولذلك معظم المفاهيم المعاصرة إشكالية مشوشة، ومفهوم منظمات المجتمع المدني له من ذلك نصيب كبير، ولذلك سنقاربه، من ناحيتين، ناحية المفهوم أو المبنى، وناحية المضمون أو المعنى.

1 -التعريف من خلال المصطلحات:

المنظمة مجموعة من الأفراد لهم هدف معين، يستخدمون طريقاً أو أكثر للوصول إليه. فمثلاً هناك منظمات إنسانية، منظمات بيئية، منظمات عمالية، الخ. نحن في سوريا لا نعرف إلا منظمتي الطلائع والشبيبة!!. المنظمة شخصية اعتبارية مستقلة عن مكونيها، ويديرها مجلس منتخب. وتنقسم المنظمات إلى نوعين حكومية وغير حكومية بالنظر إلى الأعضاء المكونين للمنظمة.

المجتمع: وهو مجموعة من الأفراد يعيشون في موقع معين تربط بينهم شبكة علاقات ثقافية واجتماعية، يسعى كل منهم عبرها لتحقيق مصالحه واحتياجاته. ويتشارك مع الآخرين همومهم واهتماماتهم بما يساهم في تطوير ثقافة ووعي مشترك يطبع المجتمع وأفراده بصفات مشتركة تشكل شخصية هذا المجتمع وهويته.

المجتمع (المدني): أو مجتمع المدينة، يجمع العرب الباحثون في مفهوم المجتمع المدني على أصوله الغربية، وهذا الإجماع سببه غياب البحث وغلبة النقل ووحدة المنقول عنه. بينما تظهر مراجعة متبصرة للتاريخ القريب للحضارة الإسلامية، أن مصطلح مدينة ومدني ولد في تاريخ الحضارة العربية الإسلامية، بعيد هجرة النبي وتأسيس دولته الحديثة في المدينة، فدولة المدينة أنشئت في حاضرة تسمى يثرب، النبي سماها المدينة، ذلك أنه أسس في هذه الحاضرة مدينة حديثة بدستور مكتوب قائم على التعدد والاختلاف والتعايش وقد كانت هذه المفاهيم بكرا في ذلك التاريخ؛ فالمجتمع المدني بحسب تجربة المدينة: هو مجتمع قائم على الحرية والعدالة والتعدد وقبول الاختلاف وإدارته، والمساواة بين أفراده بغض النظر عن انتماءاتهم العقائدية والفكرية. مجتمع محكوم بالإقناع والقانون، فهو تعبير طوعي عن إرادة الناس الحرة.

فدولة المدينة أسست ببيعتين، ووضعت أسس الحكم بعقد مكتوب عملي هو دستور المدينة الذي وصفه أحدهم، بأنه أول دستور مدني في التاريخ، وتجد أحدنا من غير فهم ولا بصيرة، يتحدث عن جاك روسو والعقد الاجتماعي (النظري) بين الأمة والحاكم!

وحيث أننا لا نستطيع أن نعرف قيمة ما عندنا حتى يتحدث عنه الغربيون، (فابن خلدون القامة الفارعة في علم الاجتماع لم نتعرف عليه إلا عندما تحدث الغربيون عن عظمة انجازه)، لم يخطر في بالنا معنى مدينة وعلاقة ذلك بالمجتمع المدني، أو المديني.

المدينة أو المدنية كانت لحظة فارقة بين حاضرة محكومة بالقانون، تمارس التعدد وتعيش التسامح مع المختلف، وتوزع الحقوق والواجبات بغض النظر عن الانتماء الديني، وبين فضاء فوضوي تحكمه شريعة القوة وقانون الغاب. إننا نؤكد اليوم من خلال معرفتنا بالتاريخ الإنساني، أن الحضارة الإسلامية دُشنت بمجتمع مدني، بينما كان المجتمع المدني في الحضارات الأخرى ثمرة معاناة وآلام مريرة، فالمجتمع المدني هو المجتمع الذي يكون فيه الجمهور صاحب الكلمة في كل ما يتعلق بالأمة ومصائرها، وهذا كان الملمح الأهم في دولة المدينة التي كانت محكومة بالمجتمع المدني، الذي كان كل فرد من أفراده معنيٌّ بأمر هذه الأمة، وكانت لحظة تكليف الحاكم هي لحظة الحقيقة في هذا السياق كما عبر عنها الصّدّيق والفاروق.

منظمات المجتمع المدني:

شبكة من المنظمات التطوعية المستقلة التي تملأ المجال العام بين الأسرة والدولة، وتعمل على تحقيق المصالح المادية والمعنوية لأفرادها، والدفاع عن هذه المصالح في إطار الالتزام بقيم ومعايير الاحترام والتراضي والتسامح الفكري والسياسي، والقبول بالتعددية والاختلاف، والإدارة السلمية للصراعات والاختلافات.

2 -التعريف من خلال الوظيفة:

فبحسب الوظيفة التي تقوم بها منظمات المجتمع المدني من خلال التعريف، نستطيع أن نقول: إن منظمات المجتمع المدني هي فرق مجتمعية متطوعة تقوم بحراسة الفضاء العام من استبداد ذوي السلطان وأصحاب النفوذ.. إنها صوت الجمهور في مواجهة نفوذ السلطة، إنها حالة من الثورة الهادئة الدائمة؛ فهي منظمات تطوعية، مستقلة، غير إرثية، وظيفتها رقابية، رصدية، اقتراحية، اجتماعية، لا تطمح للسلطة، وبذلك تخرج الأحزاب من عدادها، لأنها معنية بالسلطة.

وبحسب معرفتنا بتاريخ المجتمع الإسلامي فإن الفضاء العام فيه كان محروساً بالفريضة السادسة، فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، التي صنفها الفقهاء في فروض الكفاية، واعتبروها فريضة اجتماعية مجتمعية، وقد كان المجتمع النبوي مجتمعاً مدنياً حياً، يقوم بهذه الوظيفة بكليته، وكان الفضاء العام متاحاً، لا يحول دونه حائل ولا يتهيبه متهيب. فمعركة بدر حدد موقعها رجل من المسلمين، ومعركة أحد حدد مكانها الشباب المتحمس، وصلح غطفان يوم الخندق كان أصحاب الفصل فيه هم أهل المدينة. بينما معاهدات

البقية في صفحة 15

منظمات المجتمع المدني السوريّة بين الكثرة والفاعلية

بسام الأحمد

قيل في إحدى تعريفات المجتمع المدني بأّنه يشير إلى "مجموع المبادرات والمجموعات الناشطة خارج إطار الحكومة"، وبطبيعة الحال تعتبر منظمات المجتمع المدني واحدة من هذه المجموعات أو الفعاليات التي تُبنى على شرط مهم يتمثل في تعبيره عن تطلعات أو اهتمامات مجموعات أو مكونات اجتماعية في بلد ما، بغض النظر عن الظروف التي يمر به ذلك البلد. وفي أحيان كثيرة قد تقوم تلك المنظمات بالمشاركة في تحديد مسار سياسات عامّة سواء على المستوى الوطني والمحلي ، أو على المستوى الإقليمي ، وحتى على المستوى الدولي؛ وذلك عن طريق أدوات عديدة تلجأ إليها تلك المنظمات ، سواء كانت حملات مناصرة ودعم ، أو حشد رأي عام وتسخير موارد من أجل أهداف محددة.

من الصعب النظر في طبيعة وبدايات فاعلية المجتمع المدني السوري بصورته العامة ، أو من خلال المنظمات والجمعيات والمبادرات التي أفرزها بعد آذار 2011 ، دون الأخذ بعين الاعتبار البيئة القمعية التي كانت تسود الساحة السورية العامّة قبل ذلك التاريخ، أو القمع الذي رافق الانتفاضة الشعبية من قبل الأجهزة الأمنية بعد هذا التاريخ، والتي تحولت فيما بعد إلى حرب شاملة أدّت إلى خلق ظروف جديدة تتميز بصعوبة أكبر في العمل المنظم المستقل أو المحايد أو الموضوعي. فأصبحنا في مواجهة ظرفين مهمّين وأساسيين كان لهما الأثر الأكبر في رسم ملامح معظم منظمات المجتمع المدني السورية، أولهما قلّة الخبرة والممارسة بعد سنين طويلة من حكم الدولة السورية "الحديثة"، التي كانت محكومة بعقلية الحزب الواحد، حزب البعث العربي الاشتراكي. وثانيهما - وهوالأكثر قساوة - أن البدء بممارسة العمل المدني كان ضمن ظروف أقرب إلى الاستثنائية، وهي ظروف الحرب والنزاع في سوريا ، والتي أدت إلى كارثة إنسانية تعتبر الأسوأ منذ عقود.

لكن وبالرغم من ذلك كان بالإمكان، واستناداً إلى حجم التمويل المتدفق على المنظمات السورية، أن يكون المجتمع المدني أكثر قوةً ومتانة وفعالية مما هو عليه، وأكثر إرتقاءً بعمله ، وأكثر تنفيذاً وتطبيقاً للأهداف والرؤى والخطط التي نشأ من أجلها.

بقليل من التجاوز يمكن تشبيه ظهور معظم المنظمات السورية التي بدأت في العام 2011بكونها بدأت على شاكلة مبادرات فردية أو من عدّة أفراد (التنسيقيات مثالاً) نتيجة حاجة مجتمعية فرضتها الاحتجاجات والمظاهرات اليومية . ومن نافل القول أن مقتضيات العمل الثوري برمتها وتحديداً في شقّه الأمني ، فرض على مؤسسي تلك المبادرات والمجموعات الاعتماد على الدائرة المقربة منهم لغايات أمنية (الأخ والصديق والمعارف وغيرهم)، فلم يتم الأخذ بعين الاعتبار -على سبيل المثال- الكفاءة أو المقدرة أو حتى التفرّغ للعمل في جوّ مؤسساتي لدى معظم المبادرات، وفي أحايين كثيرة تمّ الاكتفاء بالاعتماد على مبدأ الولاء كسبيل وحيد في سبيل الحفاظ على مكتسبات على مستويات مختلفة، سواء الشخصية منها أو "المنظماتية الضيّقة". وسرعان ما بدأت سلبيات هذا الجانب بالظهور بعد بضعة أشهر من العمل اليومي والمضني في سوريا وتحت الشروط الاستثنائية المشار إليها آنفاً.

وحتى أواخر العام 2011كانت معظم المبادرات والمجموعات الناشئة تنشط في الداخل السوري بشكل أساسي، إلاّ أنّ الموجة الأولى من المواطنين السوريين الذين اضطروا للنزوح من منازلهم واللجوء إلى دول مجاورة، إضافة إلى عدد لا بأس به من النشطاء، سمح شيئاً فشيئاً لمعظم المبادرات بتغيير كبير في بعض التكتيكات، فمثلاً بدؤوا بتكليف أناس للحديث باسمهم في الخارج، والاختلاط مع المنظمات الدولية الأخرى والحكومات المختلفة التي أعلنت دعمها للحراك في سوريا، ويبدو أنّها كانت إحدى مراحل بدء طلب التمويل المنظّم من مصادر مختلفة، حيث بزغت تزامناً مع هذا المنعطف تحدّيات جديدة متعلقة بشروط الاستدامة والرؤية الواضحة والأهداف التي تتعلق بسبب نشوء معظم المبادرات أو المنظمات. وأيضاً كان لهذا الأمر آثار إيجابية أخرى عديدة تمثلت في جزء كبيرة منها بالإحتكاك مع أناس وفعاليات من دول أخرى وتمّ الإطلاع على تجارب عديدة، حيث تلقفت العديد من المنظمات هذه الفرص من أجل تطوير نفسها سواء على صعيد الهيكلية والعمل أو على صعيد الرؤية والاستدامة، على عكس منظمات أخرى كثيرة ترسخت فيها سلطة فرد أو بعض أفراد متنفذين (والأمثلة هنا بالعشرات)، وبدأت (الانشقاقات) فيها بشكل عامودي ، متناسين الهدف الأول والأسمى من نشأتها .

في معرض الحديث عن المعوقات التي تواجهها منظمات المجتمع المدني السورية عشية دخول الانتفاضة الشعبية عامها الخامس، لا بد من الاعتراف أنّ قيوداً ثقيلة جداً تثقل كاهل العشرات من المنظمات وربما المئات، وذلك مقارنة مع حجم العمل والواجبات أو الدور المنوط بها في هذه الفترة، وبشكل أخصّ بعد مغادرة أكثر من نصف السوريين لبلادهم، وتدمير البنى التحتية في الدولة بشكل شبه كامل، وانتشار نقاط الاشتباك والقتال بشكل غير قابل للحصر ما بين النظام ومجموعات المعارضة المسلّحة، وتنظيمات مختلفة الانتماء والأهداف، والتي بلغت بحسب إحصائية لأحد لجان التحقيق أكثر من 1400مجموعة منذ بدء النزاع.. اندثر بعضها ، واندمج بعضها الآخر وفق اعتبارات عديدة لا يتسع الوقت للحديث عنها.

ولكن وبرغم تلك المعوقات أو الظروف الموضوعية التي وقفت حائلا دون تشكيل منظمات مدنية قويّة، يمكن القول إن العوامل الذاتية لا تقل دوراً في إضعاف المنظمات السورية؛ فما الذي يمنع على سبيل المثال أن تتمتع جميع المنظمات السورية المدنية بأهداف واضحة وتتخصّص في مواضيع محددة ، وما الذي يمنعها من كتابة تخطيطات استراتيجية لتنفيذ حقيقي لرؤاها وأهدافها، وما الذي يمنع من خضوعها لأنظمة داخلية واضحة وتوزّع واضح في المهام ومراقبة للعمل اليومي أوالاستعانة بخبرات في هذا المجال؟! مع العلم أن آلاف الدورات التدريبية عقدت خلال السنوات الماضية لآلاف السوريين وخاصة في دول الجوار. وقد يقول قائل ههنا مرة أخرى إن ظروفاً استثنائية أخرى أضيفت على واقع هذه المنظمات، فمن عدم الاستقرار وصعوبة التسجيل، إلى صعوبات جديدة برزت مؤخراً منها عمليات التحويل المالية للسوريين، والتي لعبت وما زالت تلعب دوراً في ضعف المنظمات السورية.

إلاّ أن المراقب الموضوعي لعمل الكثير من المنظمات عن كثب، سوف يدرك فداحة واقع العشرات من المنظمات السورية متمثلا في حالات الهدر والفساد المالي والإداري التي تعصف بها ، وفي حالات الركود والعقم وعدم القدرة على تطوير حقيقي في عملها وآلياتها.. لتتحول تلك المنظمات من وسائل لتحقيق (أهداف نبيلة)إلى غايات تُقصد لذاتها.. فتجد عشرات المنظمات التي تعمل في منطقة واحدة على الموضوع ذاته، لتصبح وسائل ومنابر أشبه بالأحزاب السياسية في فترة ما قبل الثورة ولتتحول إلى عبء يجب التخلص منه أو تطويره عاجلاً أم آجلاً.

الأدلجة الفكرية وخطورتها على مفاهيم المجتمع المدني

سردار ملا درويش

يتخذ المجتمع المدني اعتيادياً التوازن بين السلطة من طرف والمؤسسات الخاصة من طرف أخر، كما يساهم في تقدم وتطور وازدهار المجتمع، هذا الظاهر في دولٍ تحترم الفرد وحقوق الإنسان، ولديها فضاء واسع أو أقل من الحريات واحترام المواطن، لكن في ظل حكم شمولي مثل النظام السوري، لن يرى المجتمع المدني النور، الأمر الذي كان واقعاً على مر عقود.

مع بداية الحراك الثوري في آذار 2011 خلق السوريون المتضامنون مع الثورة خاصة من فئة الشباب، تجمعات متفرقة الاختصاصات لمواكبة الحراك، وتنوعت بين أعمال مختلفة لمجاراة الواقع، مثلت شيئاً أشبه بمؤسسات أو تجمعات ستنتقل تباعاً لشكل جماعات مدنية لخدمة الواقع.

مع انهيار الشكل الحقيقي للدولة السورية، ونقص احتياجات السوريين وانقسام المجتمع على الجغرافية السورية بين مناطق خاضعة لجهات متعددة التسميات والأفكار، كان تنظيم عمل تلك التجمعات المشتتة وبداية مأسستها واجباً، للعمل على خلق أرضية مجتمع مدني بسيط قادر على مواكبة التطورات المتسارعة، والإعداد لبيئة مجتمعية تساهم أيضاً في بناء سوريا المستقبل، كما كان الأمل كبيراً بأن تبقى قيادة تلك التجمعات في يد الشباب الذين هم العمود الفقري لأي مجتمع.

لأن الحديث يتعلق بواقع منظمات المجتمع المدني السورية القائمة، ولعدم وصول السوريين لثمار ما خرجوا من أجله، وجب التطرق والحديث عن عدم فهم كثير من الشباب السوري للمعنى الحقيقي لجوهر فكرة المجتمع المدني، الذي اختلط لديهم بمفاهيم سياسية أكثر من الماهية. الأمر الذي شكل تأثيراً سلبياً في نمط المجريات، وانعكست نتائجه السلبية على ظروف الناس المحتاجين في نهاية الأمر، الناس الذين ما انفكوا يتضررون من تناقضات الواقع والظرف السوري ومتغيراته عبر الكيانات الحاكمة المختلفة والمتغيرة بعض الشيء، والتي اتبعت سياسة الولاء مقابل العيش.

ليس خافياً أن آلة القمع التي استُخدمت ضد السوريين لعبت دوراً كبيراً في عدم إيجاد فسحة قياسية لامتحان واختبار العمل الحقيقي للسوريين، لكن بعد خمسة أعوام من الحراك، وما أفرز عن مؤسسات وإدارات وتجمعات، كان كافياً لإدراك مفهوم المجتمع المدني بمفاهيمه النظرية على الأقل، وعزله عن الإيديولوجية الفردية المزروعة في العقول.

ليس من الغرابة كل ما ذكر آنفاً داخل المؤسسات السورية الحديثة، فيكفي أن تكون حاضراً في لقاءٍ يجمع عدة منظمات سورية تعمل في مجال المجتمع المدني باختصاصات مختلفة (إنسانية وإغاثية وتنموية ومجتمعية) كي تصل لنتيجة أن السياسة والفكر يسيطران على العقل الجمعي لدى السوريين؛ فبرغم قيام تلك الجهات بمجهودات كبيرة لخدمة السوريين مقارنة بمعادلة الصفر أوعدم الوجود السابقة ما قبل الحراك، إلا أن غالبية ممثلي تلك المنظمات على الأقل لا تخلو أحاديثهم من إظهار طابع سياسي مؤدلج، ليس بعيدا عن الارتباط بالثورة فحسب بل مشحون بروح منافية لعمل المجتمع المدني، متناسين المسؤولية الفردية تجاه المجتمع وهو ما يتطلبه عمل المتطوعين في مجال المجتمع المدني، حتى إن المشاورات لم تتجنب إضفاء الطابع الفكري والتشنج على النقاشات وتحويرها، في محاولات تعتبر سلبية بتحييد جهات تتضامن مع أفكارهم حتى لو كانت الأخيرة لا تعمل لصالح حاجات المجتمع الأساسية، الأمر الذي ينافي صلب العمل، وبدل توجيه مدخراته -أي العمل- نحو الإنسان قبل الموقف والفكرة، تراهم يتسرعون بالتميز على أي صعيد كان، دون النظر إلى أن أكثر المتضررين من الحرب السورية القائمة هم الأهالي أنفسهم، الذين تسيرهم التغيرات السياسية والإيدولوجية بحسب الجهات المسيطرة على الأرض.

لم يدرك غالبية العاملين ضمن مجال المجتمع المدني حتى اليوم، أن فردية العمل لا تشكل أساساً لبناء مجتمع سليم خاصةً في حال كان الأمر متعلقاً بشكل الدولة، ما يتطلب العمل بفكر جمعي وإزالة انعدام الثقة بين تلك المؤسسات، فبرغم وجود المئات من منظمات المجتمع المدني التي تعمل من أجل المجتمع السوري مع الأخذ بعين الاعتبار أن الدعم الحاصل لتلك المنظمات لا يؤمن لها استمرارية أبدية في العمل، وفي حال إزالة مفهوم الأنانية بعض الشيء، والعودة لتجارب واقع دول تعرضت لكوارث، سنلاحظ أن فردانية العمل زادت من عبء المجتمع أكثر من نفعه، وهذا ما سارت غالبية منظمات المجتمع المدني السورية عليه في الوقت الحالي على الأقل.

يلاحظ على مدى أيام في لقاءات تلك المنظمات غياب أو افتقاد الدراية والوعي بمتغيرات الواقع السوري في كافة نواحيه، وهذا ربما يعود لعدم وجود ثقافة صلبة بين السوريين أنفسهم، بل هناك وجهات نظر مبنية مسبقاً لا تختلف عن رؤية السياسيين الذين تبنوا منذ اليوم الأول آلية «التناظر التاريخي»، حتى إن مفهوم الحرية الشخصية في عمل منظمات المجتمع المدني لم يظهر في العمل على أنه تطوع اختياري تجاه خدمة الناس والعطاء لهم، وكأن منظمات المجتمع المدني السورية لم تتبنَّ الفهم الليبرالي لمعنى المجتمع المدني، بل طبقت النظرة الماركسية برغم عدم وجود سلطة شيوعية، فهم أنفسهم أفرغوا مضمونه بالأيديولوجية التي لا يستطيع السوريون الخروج منها والعمل بمنطق مع الواقع أو التمييز بين مهنية العمل والفكر الذي يحملونه، الأمر الذي لا يبشر بالخير لمستقبل المجتمع، المطلوب من تلك المنظمات العمل لهدف سام في خدمة السوريين ككل، لا النظر أن تلك الجهة موالية والأخرى معارضة أو رمادية أو تلك تتفق مع رؤيتنا والأخرى لا تتفق، فلا أحد يستطيع اليوم فرز الواقع السوري بحسب الفكر، لكثرة الجهات التي تدير الجغرافية السورية، كما لا يجب الحكم على البقعة الجغرافية بسبب الجهة التي تدير تلك البقعة.

إن إضفاء الفكر الفردي على العمل الجمعي، بمحاولة دسّ الأفكار من قبل جهات من المفترض أن تلعب دوراً مؤثراً لتطوير المجتمع، يشكل عداءً مجتمعياً أكثر من دمج المجتمع داخل أطر توصلها لمفاهيم الحرية والكرامة والديمقراطية، وفي الحالة السورية بدل العمل على لعب دور الريادة في إزالة الشوائب التي تراكمت على مر العقود، ستشكل هذه التفرقة جداراً من الصعب إزالته، خاصة في ظل الصراع الطائفي والمذهبي والقومي القائم، الأمر الذي يؤدي لتخوف مكونات المجتمع من المجهول القادم، وإظهار ديكتاتورية جديدة ليست بأفضل من السابقة.

برغم أن الثورة السورية استطاعت أن تشكل وحدة حال بين السوريين، إلا أنها لم تستطع شمل كافة السوريين برؤى واحدة، لربما وحدها أزمة اللاجئين السوريين الأخيرة بالنزوح تجاه أوربا استطاعت إثبات بعض وحدة الحال، فتلك الأزمة ألغت بعض الشيء المناكفات والتضادات القائمة، وأنست التفرقة بين موالٍ ومؤيد بعض الشيء في طبيعة الواقع، وهذا ما كان كافياً لينذر منظمات المجتمع المدني أن العمل للسوريين ككل هو صلب المطلوب.

إن عمل المجتمع المدني لا يقتصر على التطوع الفردي بغرض تحقيق فائدة مجتمعية، أو تكوين اتحادات مشتركة تعمل في حلقة دائرية مفرغة، بل تشمل التفكير -بعد خمس سنوات من الحراك- بالعمل على تأسيس إسهامات تزيد من فرص السوريين وتقلل المخاطر المجتمعية كالحماية وتقليل الأمية ومحاربة البطالة بمرافقة تنمية العقل والفكر لدى السوريين وتشجيع الأخرين على العمل. فالمجتمع المدني ينمو بمقدار استعداد أفراده للعطاء بدون مقابل لإفادة الجماعة، شريطة أن يتم زرع قيم أخلاقية وثقافية وسياسية وعلمية وخيرية، تساهم في نصرة قضايا مشتركة للجميع، ليكون بالفعل عمل تلك المنظمات مؤثراً على السياسات العامة مستقبلاً، ويكون دورها يشبه القطاع الثالث لخلق ما أطلق عليه إدموند بيرك الأسرة الكبيرة في المجتمع

منظمات المجتمع المدني في الغوطة الشرقية

نقاط يجب التوقف عندها

أبو القاسم السوري

إن الثورة في أحد أهم أشكالها هي عملية تفكيك وإعادة بناء وهيكلة للبنى والوحدات المؤسسة للمجتمع بشكله العام، ولا تقتصر عملية إعادة البناء على عدد الوحدات وأنواعها وأشكالها بل تتعداه لتشمل الدور الوظيفي لهذه الوحدات، ولا يقصد هنا بالوحدات الوحدات المشكلة للمجتمع السياسي القائم على مفهوم السلطة وما يرتبط بها فقط، بل يتعداه ليشمل المجتمع المدني من حيث المفهوم والوحدات والأدوار المناط بالمجتمع المدني ومنظماته القيام بها.

والجميع يدرك أن المجتمع المدني في مرحلة ما قبل الثورة كان مغيباً بشكل كامل، وما كان يمكن أن يصنف باعتباره منظمات مجتمع مدني لم تكن أكثر من منظمات كرتونية تسير في بحر شرعنة نظام ديكتاتوري قائم بحكم الأمر الواقع. ومع تفجر الثورة وانكسار الحدود المقيدة للمجتمع السوري أصبح المجال أوسع للقوى الفاعلة ضمن المجتمع أن تطرح رؤى لتشكيل منظمات تطوعية هدفها تقديم الخدمة العامة غير الربحية التي تستهدف تنمية المجتمع بأحد قطاعاته؛ أي العمل على تشكيل منظمات مجتمع مدني وفق المفهوم الحديث، وقد انطلق ذلك بوعي في بعض الحالات وفي أخرى نتيجة الحاجة لتلبية الحاجات المجتمعية التي ولدتها الظروف، وطبعاً كانت الغوطة الشرقية في خضم هذه التغيرات، ولكن هذه الحالة لم يرافقها دائماً الثقافة المجتمعية الضرورية القادرة على إنجاح التجربة ووضعها في مكانها المجتمعي الصحيح، وقد تجلى ذلك من خلال بعض الآثار المجتمعية السلبية التي بدأ يفرزها وجود بعض هذه المنظمات في بعض المراحل والذي ظهر بشكل كبير بعد تحرر الغوطة وغياب السلطة البديلة الحاكمة.

فالناظر اليوم إلى واقع منظمات المجتمع المدني في الغوطة الشرقية منذ عام 2012 إلى عام 2015 يرى ازدحاما هائلاً في عدد المنظمات التي يمكن إدراجها تحت يافطة منظمات المجتمع المدني والتي تتنوع اختصاصاتها واهتمامات عملها ما بين تقديم الخدمات الصحية والتعليمية والإغاثية والزراعية والتنموية وخدمات ذوي الاحتياجات الخاصة أو المنظمات القائمة على أسس تنظيمية كتجمع المعوقين أو رابطة المعلمين أو رابطة الأكاديميين وما شابهها، أو بعض التجمعات السياسية غير الحزبية أو الملتقيات الفكرية ومراكز دراسات و مراكز إحصاء، ومجلات وجرائد ومراكز تأهيل نفسي ومهني وغيرها العديد العديد من المنظمات التي يمكن أن تصنف تحت يافطة منظمات المجتمع المدني.

وطبعا فإن هذا الازدحام يعطي مؤشراً إيجابياً عن مدى ازدياد فاعلية المجتمع السوري عموماً ومجتمع الغوطة الشرقية خصوصاً، ولكن هذا لا يلغي وجود العديد من النقاط التي يجب التوقف عندها في العموم في دراسة تجربة منظمات المجتمع المدني في الغوطة ولعل أهمها:

1 - غياب الناظم القانوني الضابط لعمل هذه المنظمات سواء من جهة الإشهار أو التخصص أو الإفصاح عن مصادر التمويل، ونتيجة هذا الغياب وجدت بعض المنظمات نفسها في حل من أي مساءلة أو مراقبة، وبذلك انطلقت هذه المنظمات دون أي ضابط لعملها سوى توجهات وعقلية الأفراد القائمين عليها، خاصة أن هذه المنظمات لم تُشكل على أسس مؤسساتية صحيحة، بل بمبادرات فردية ولذلك فقد صبغ عمل هذه المنظمات بالمجمل بالصبغة الفردية.

2 - بسبب غياب المنظمات الحكومية التي يجب أن تفرزها الثورة كبديل عملي على الأرض وجدت منظمات المجتمع المدني الساحة أمامها متاحة للادعاء بأنها هي المؤسسات الحكومية، فأصبحت بعض منظمات المجتمع المدني المختصة بالعمل التعليمي أو الطبي تدعي أنها هي المؤسسات المسؤولة عن هذا الاختصاص في الدولة الجديدة.

3 - شيوع ظاهرة الارتهان إلى المال المقدم من الجهات الداعمة، فبعض المنظمات تغير العديد من أهدافها ونطاق عملها في سبيل استحصال أموال؛ فترى منظمة مختصة بالأعمال الإغاثية من خلال تقديم السلة الإغاثية تقحم نفسها بالعمل الطبي وتنشئ مركزاً صحياً فقط بسبب توفر مورد مالي لهذا البند، مع أنها تكون غير مؤهلة للقيام بهذا النوع من النشاطات.

4 - انتشار حمى الحفاظ على الذات والتنافس في التضخم واستجلاب الأموال، ولو كان ذلك فيه مضار للمجتمع ضمن الغوطة الشرقية، ويظهر ذلك بشكل جلي في الفترات التي يزداد فيها الدعم المخصص؛ مثل مشروع المطبخ الخيري في رمضان حيث انتشرت في رمضان الماضي عشرات المطابخ الخيرية في الغوطة، ووصل الناس إلى حالة تخمة من الإطعام حتى أصبحت ترى الطعام مرمياً في القمامة، مع أن المواطن في الغوطة كان يفضل أن تقدم له وجبة من المواد غير المطبوخة، والتي يمكن الاحتفاظ بها على مدى طويل بدل المواد الجاهزة، ولكي تستطيع هذه الجمعيات تغطية هذه المشاريع قامت بسحب المواد الغذائية من الأسواق وبأسعار خيالية، وبعد انتهاء شهر رمضان توقفت هذه الجمعيات عن تقديم هذه الخدمة، فوجد المواطن نفسه في العراء لا يوجد مواد غذائية في الأسواق ولا يوجد مطابخ تقدم له الطعام. وجميع الجمعيات تدرك ولو بشكل متفاوت أن عملها في رمضان كان فيه ضرر على الغوطة الشرقية، ولكن المحدد الرئيسي لعملها لم يكن تغطية حاجات المجتمع، بل كان تغطية رغبات الجهة الداعمة!

5 - غياب الاستقلالية والحيادية لدى العديد من منظمات المجتمع المدني، وارتباط العديد منها بمشاريع سياسية فصائلية، ومن خلال الخدمات التي تقدمها هذه المنظمات تحاول الترويج لهذا الفصيل أو ذلك التيار.

6 - ضعف المؤسساتية بشكل عام لدى هذه المنظمات سواء لجهة التنظيم والهيكل الإداري أو لجهة ترسيخ مبادئ الشفافية والمساءلة والعدالة.

7 - ضعف المنظمات التي تختص بالتوعية والنشاطات المجتمعية الأكثر ديمومة، والتي تعمل على تنمية الموارد البشرية وتوعية المواطنين بحقوقهم، فمثلاً غابت عن الغوطة منظمات تهتم بفئات معينة كمنظمات عمل للمرأة والطفل وما إلى ذلك.

8 - غياب المنظمات الحقوقية أو التي تهدف إلى احترام حقوق الإنسان، الأنسب القول : ولعل السبب الرئيسي الذي منع العديد من الناشطين من القيام بذلك هو تخوفهم من بعض الفصائل ذات التوجهات المعارضة لهذه القضايا.

إن النقاط السابقة لا تهدف إلى رسم صورة سلبية عن واقع منظمات العمل المدني في الغوطة الشرقية، فلا يوجد أحد يختلف على أن منظمات العمل المدني في المناطق المحررة قفزت قفزة كبيرة، وأصبح لها أثراً واضحاً على المجتمعات المحلية، ولكن تسليط الضوء على هذه النقاط السلبية يستهدف أساساً تحديد السلبيات للعمل على تجاوزها، فجميعنا يدرك أهمية تفعيل دور منظمات المجتمع المدني كوسيلة للوصول إلى مجتمع أكثر تقدماً وحضارية ويحمل فكر قبول الآخر والمبادرة والشراكة المجتمعية بما يدفع للوصول إلى الدولة الحديثة العصرية.

الدفاع المدني السوري خطوة على طريق سوريا الجديدة

راصي العاشق

دعت إدارة الدفاع المدني السوري جميع مديريات الدفاع المدني في المحافظات السورية لعقد اللقاء الداخلي العام، اللقاء الذي سيعقد استثنائيًا هذا العام ولمرة واحدة لانتخاب أو اختيار ممثلي المديريات في الهيئة العامة، وكانت هذه الإدارة قد تشكلت في تشرين الأول/ أكتوبر 2014 وأتمّت عامها الأول لذلك وجّهت الإدارة إلى مديريات الدفاع المدني داخل سوريا تقول: "من حرصنا على المساهمة في بناء المؤسسات الوطنية وضرورة تطوير العمل المؤسساتي المهني، وبما أن المتطوّع هو اللبنة الأساسية المساهمة في بناء هذه المؤسسات، وعمله الشجاع في مناطق الخطر تحت البراميل يعد هو الشرعية الواقعية في الأرض والميدان، فإننا ندعو مديريات الدفاع المدني في المحافظات السورية لعقد اللقاء الداخلي العام". ومع اشتداد القصف الروسي على المناطق السورية وتزامنه مع البراميل المتفجرة التي يلقيها نظام الأسد، تصبح المهمّة الميدانية أخطر، ويصبح العمل الإنقاذي أكثر صعوبةً، لذلك يصبح متطوّعو ومتطوّعات الدفاع المدني تحت ضغط أكبر، وتصبح حياةُ المنقِذ في خطر، وتصبح المشاهد المنشورة هنا أو هناك مروّعة وغير قابلة للتصديق وتذكّر بما حدث في الحرب العالميّة، وربّما أكثر، إلّا أن الدفاع المدني يصرّ على العمل كمؤسسة لا كمبادرة، ويكرّس جهده اليوم للذهاب نحو مأسسة هذه المنظمة بشكل أفضل بما يليق بسوريا وما يمكن أن يقدّم فائدة أكبر في ظل انحسار للعمل المدني لحساب العسكرة!

نقاط إجرائية

تضمنت آلية تمثيل المتطوعين في الدفاع المدني آليات إجرائية من قبل الإدارة تتلخّص بـ:

1. إجراء انتخابات في المراكز، يشرف عليها مدير المديرية المسؤولة عن هذه المراكز، وعليه التأكد من تفويض المتطوعين للشخص المنتخب أو الذي تم تجديد الثقة به.
2. بعد فرز النتائج والحصول على كتاب التفويض، يتم اعتماد نسبة 2% من العدد الكلي لكل مديرية للمشاركة في الاجتماع السنوي العام والذي سيعقد في تركيا نهاية الشهر الحالي.
3. يجتمع في كل مديرية مدراء المراكز المنتخبين وقادة القطاعات بإشراف مدير المديرية في اللقاء الداخلي العام لمرة واحدة هذه السنة لاختيار ممثلي المحافظة.

يقول مدير مديرية محافظة درعا عبد الله السرحان: "لدينا في محافظة درعا ثلاثة قطاعات: قطاع المدينة، قطاع الريف الشرقي، وقطاع الريف الغربي، وضمن هذه القطاعات يوجد 14 مركزًا تتوزع على الشكل التالي: مركزان في المدينة، ستة مراكز في الريف الشرقي، وستة مراكز في الريف الغربي" وعن سير عملية الانتخابات يقول السرحان: "لقد تم تشكيل لجنة انتخابات مؤلفة من القطاعات الثلاثة، وتم إبلاغ رؤساء المراكز قبل يوم من الانتخابات لجمع المتطوعين، وتمت زيارة المَراكز من قبل اللجنة وإخبارهم بأحقيّة أي شخص للترشّح، وفي حال عدم ترشح أي شخص، يعتبر الأمر تجديد ثقة بالمدير الحالي".

شروط تمثيل المحافظة:

1. ألا يقل عمر الممثل عن 25 سنة.
2. ألا تقل مدة تطوعه في الدفاع المدني عن سنة.
3. أن يكون حاصلاً على الشهادة الإعدادية على أقل تقدير.
4. أن يكون مشهود له في الحراك الثوري منذ 4 سنوات على الأقل.

وبعد اعتماد نسبة 2% من عدد المتطوعين في كل محافظة أصبح عدد ممثلي المحافظات على الشكل التالي: إدلب (14)، حلب (11)، حماه (6)، اللاذقية (2)، حمص (4)، دمشق (4)، ريف دمشق (8)، درعا (7).

واعتبر د. جهاد محاميد ممثل الدفاع المدني في درعا أن "الانتخابات كانت ناجحة وتم قبول اعتراض أحد المراكز بشكل ديمقراطي، وهذا أمر صحّيّ، ولو لم يكن هناك اعتراضات لما كانت الانتخابات حقيقية" وأكّد محاميد على أهميّة دور المرأة في الدفاع المدني وعلى أحقيتها في الترشّح والقيادة والتمثيل، وذكر أن "محافظة درعا ستكون المحافظة الوحيدة التي ستكون المرأة من ممثليها في اللقاء السنوي".

برنامج اللقاء السنوي

ذكر د. محاميد أن "اللقاء سيضع على جدول أعماله انتخاب مجلس ادارة جديد، ورسم السياسة المالية الخاصة بالدفاع المدني، وكذلك رسم الخطة الاستراتيجية المستقبلية، والحاجيات والفرص والمخاطر، واليات التطوير والمشاركة في إعادة الإعمار" واختتم حديثه بالقول: " من الصعب العمل كمؤسسة بدون ترخيص لذلك سيتم ترخيص الدفاع المدني في تركيا، كما سيتم ترخيصه في هولندا تحت اسم "أصدقاء الخوذ البيضاء".

دورات وتدريب

يسعى الدفاع المدني إلى إقامة دورات تدريبية قادمة في تركيا وسوريا والأردن حيث سيتم تدريب متطوعي المناطق الشمالية في تركيا، بينما سيتم إنشاء مراكز خاصة داخلية في دمشق وريفها وحمص، أما بالنسبة للمنطقة الجنوبية فسوف يتم إقامة 4 دورات طبيّة و5 دورات بحث وإنقاذ في الأردن، ويتم الآن تجهيز مركز تدريب في درعا سيصبح جاهزًا خلال شهر ونصف.

الصـورة الذاتيـة والاكتئـاب

عروة مقداد

أثناء تنقلي بين مدن الجوار السوري (عمان، بيروت، غازي عنتاب)، حيث المجتمعات المؤقتة التي بناها السوريون، الهاربون من القمع والقصف أو المستفيدون والمعتاشون من الحرب، متنقلاً بينها وبين المناطق المحررة، كانت السمة المشتركة في هذه المجتمعات: المزاجية العالية، والتقلبات النفسية الكبيرة بين حزن وفرح شديد، وعدم مبالاة، ونوبات من العنف المفرط تجاه الذات وتجاه الآخر.

الشعور القديم الذي كان ينتابني قبل خمسة أعوام في سورية هو ذات الشعور الذي انتابني قرب الأسقف المنهارة، حيث يرتسم خط أسود رفيع يمتزج بالأدخنة المتراقصة التي ترسمها رؤوس البراميل. حينها كنت أمارس عملية إيهام تلت السنة الأولى للثورة، تغليف شعور الألم والمرارة بانتشاء ثبات وانتصار "القيمة". في المشهد العريض لمدينة تحترق من السماء والأرض داهمتني كلمة مكتئب من (ع.م). لم أفهم في البداية سبب توصيفه، لكن اكتشفت لاحقاً أنه حقيقة الإحساس الذي انتابني: لا بد أنه اكتئاب حاد. فما هو المفرح في سقوط الصواريخ والبراميل؟ ما هو المفرح في أبنية تنهار على رؤس أصحابها، ومعارك طاحنة تصل الليل بالنهار؟ ما هو السبب لنوبات الضحك الهستيرية التي نمر بها؟ انتبهت! وتسألت، متى بدأ ذلك الاكتئاب؟

المرة الأولى التي أصابني فيها تقلب مزاجي حاد وحالة من القنوط واليأس* في مخيم اللاجئين في مدينة الرمثا قبل أن يستحدث مخيم الزعتري. في القبو المحشورين فيه كإسطبل تعرفت على مجموعة كبيرة من السوريين علت نظرات الانكسار رموشهم المخذولة. وفي محاولة لترميم صورتنا الداخلية كنا نسلّي أنفسنا بالغناء للثورة. قطع الغناء رجل في الأربعين من عمره تنهد بصوت عال ثم قال: "طلعنا نهتف الموت ولا المذلة، هربنا من الموت وإجينا على المذلة بإجرينا"...

يتحدث الكثير من علماء النفس عن الاكتئاب، وثمة أبحاث كثيرة تناولت موضوع الاكتئاب بوصفه أحد أمراض العصر، وفي محاضرة للعالم جاك فريسكو نشرت على اليوتوب* يضع تعريفاً بسيطاً لمرض الاكتئاب يوصف تعقيد الحالة التي نعيشها: هو فقدان الهوية والخلل في الصورة الذاتية للإنسان. وهذا التعريف بوابة لمقاربة الحالة السورية، ليس على اعتبار أن توصيف ما يحدث بأنه "اكتئاب" هو الإستثنائي، بل على اعتبار أن الثورة كانت بمثابة علاج جماعي من حالة اكتئاب عامة كان يعيشها المجتمع السوري وهذه النقطة الاستثنائية في المقاربة.

مصدر الصورة: إنترنت

قبل بدء الثورة السورية، تعرضت أجيال متتابعة لتدمير ممنهج في البنية النفسية خلال الأربعين سنة المنصرمة. سعى النظام خلالها إلى تحطيم الصورة الذاتية للإنسان السوري، من خلال ممارسة القهر الدائم على طبقات المجتمع بما فيها الطبقات الغنية، "فالإنسان المعرض لكل مفاجأة قد تحمل المصيبة أو الخير ليس أكيد البتة من أي ضمانات فعلية لذويه". ربما تعد هذه النقطة واحدة من أهم العناصر التي تدفع الإنسان إلى حالة من الاكتئاب التي تجعله غير فاعل، ومنزو، وغير قادر على الإبداع*. رافق ذلك في سورية حالة من الإحباط الواسعة التي كانت تبحث عن تنفيسات إما عن طريق السفر أو عن طريق الأشكال المتعددة للإدمان* أو توجيه الإحباط نحو قضايا كبرى مثل القضية الفلسطينية.

قرب الحدود الممتدة التي عبر منها آلاف المهاجرين الذين حملوا معهم، فلسفة التوحش* جلست مع شاب في الخامسة والعشرين من عمره يدعى أبو قتيبة: كان يصف لي وهو يراقب الرايات السوداء التي تكلل السيارات الجبلية روعة الخروج في مظاهرة، قال لي: "كانت المظاهرة نافذة كبيرة فتحت في حياتي. كنت أستطيع من خلالها أن أشعر".. يقول ذلك ثم يمضي وهو يكبر بين الجموع.

إن الجزء الأساسي والمهم في الثورة أنها رممت الصورة الذاتية للإنسان السوري، وجعلته يخرج من حالة إحباط واسعة، ترافقت بفرحة عامة أدت الى مظاهر الرقص والفرح والغناء بالدرجة الأولى، وبالدرجة الثانية محاولة شريحة واسعة للعمل في مجلات إعلامية وفنية للتعبير عن الهوية والذات. فالصورة الذاتية هي جزء من الصورة العامة للمجتمع. إنها صورة الأفراد تجاه بعضهم البعض التي تنتج الثقافة العامة. وخلال حكم النظام أنتج في أرضيته نوعاً من الصراع بين صورة الفرد تجاه نفسه وصورته تجاه الآخرين. إن الكلمات التي كانت تصنف السوريين تجاه بعضهم البعض هي جزء من الصورة العالمة الناتجة عن الصورة الذاتية المتصدعة أو المفقودة. ولقد أصبحت المدن الجغرافية والثقافة بحد ذاتها نموذجاً منقوصاً "غيرياً" يستحقّ السخرية والاستخفاف وحتى نفي المدنية عنه واتهامه بالدونية.

كثيراً ما تذكرني مدينة عنتاب بمنافي سيبيريا التي كان ينفي إليها قيصر معارضيه. المدينة مرتبة وهادئة بطريقة فظّة كما أنها لا تحمل أي طابع من الممكن أن يجد السوري فيه أي ترميم لصورته الداخلية أو انتماء ما يحقق له نوعاً من التوازن. وعلى الرغم من وجود شريحة كبيرة من الناشطين الميسوري الحال بحكم عملهم مع منظمات أجنبية، إلا أن الإحباط الناتج عن قرب المدينة من سورية يولد حالة شديدة من الإكتئاب. في أحد المقاهي في مدينة عنتاب اجتمع شابان أحدهما في الجيش الحر والآخر يعمل لدى منظمة أجنبية، كلاهما تشاركا ذات الكآبة التي يعبر عنها بأمزجة متقلبة حادة، فكلاهما يعاني من اهتزاز في الصورة الذاتية وشعور بالإحباط والدونية تجاه الآخر. يعود ذلك تبعاً للتصنيفات التي خلقتها الحرب، والاصطفافات والاختلافات العقائدية والسياسية .. الخ.

بالعودة للثورة السورية، شكلت المظاهرات أولى الخطوات نحو كسر التنميطات التي تساهم في الاكتئاب والتي لم تشمل فقط مؤيدي الثورة إنما تشمل أيضاً مؤيدي النظام؛ فقد خلقت المظاهرات في بدايتها هامشاً من الحرية الذي وضع مسألة الهوية ضمن النقاش، وعاد سؤال

البقية في صفحة 11

الاختلاف بوصفه فتنةً

نوار عقل

تُعبّر بعض المفاهيم المستقرة في الثقافة العربية عن حالة من التناقض الصارخ بين نموذجين من الوعي؛ وعي أصيل مستبطِن، يأخذ شكل ثقافة مستوطنة في البنية الثقافية للمجتمع، يعمل فيها عمل الأفكار المسبقة، من اختزال وفهم للظواهر، وتوجيه للسلوك. ووعي آخر سطحي زائف قد يناقض تماماً هذا المفهوم (الأصيل) -حتى الآن-. وليس مفهوم الاختلاف إلا نموذجاً لافتاً لهذا الحال، حيث لا تخفى على أحد قيمة الاختلاف وأهميته، والدعوة إليه. في حين أن نظرة فاحصة للإرث الثقافي، وللبنية الفكرية لمجتمعاتنا الحالية تدعونا إلى وقفة تأمل في آفاق الاختلاف، وإمكانيته الحقيقية، لاسيما ضمن ثقافة تمتاز بصناعة التقية، وقد اعتادت اعتبار الاختلاف فتنةً.

ومما لاشك فيه أن ارتباط المفهومين: النفسي المعرفي والثقافي: الاختلاف بوصفه فتنة، والتقية، ذو دلالة واضحة من حيث السبب والنتيجة المتبادلة أو المتعاضدة بينهما. فحيث أننا لا نستطيع البت بالقول إن التقيّة نتيجة منطقية لاعتبار الاختلاف فتنة بين الناس، بإمكاننا القول أيضاً إن التقية، تعملُ كسبب إضافي في تأصيل ثقافة نفي الاختلاف، والحذر منه كشر مستخف، قد يظهر في أي لحظة سانحة فينشر الفتنة والخراب، وذلك طالما أن التقيّة تعني إخفاء ما نبطن خوفاً من إظهاره. وعليه فإن كل اختلاف يحمل في وعينا عنه شراً وتقية وخفاءاً. والذي بدوره يؤسس لثقافة الأحادية والمركزية والتنميط، تلك الثقافة التي ابتليت بها مجتمعاتنا العربية والإسلامية، على الرغم من أن الاختلاف لم يزل واقعاً موضوعياً تاريخياً واجتماعياً ليس من الممكن تجاهله، بل هو واقع صلب في طبيعته، يعاند محاولة اختزله أو نكرانه.

غير أن هذا الاختلاف لم يتحول قط إلى حيز الوجود في الوعي الثقافي العربي كعامل إيجابي أو مقبول على أقل تقدير، بل ما فتئ يرفض ويقاوم في كلّ أشكاله العقائدية والفكرية، لصالح المركزية الدينية أو السياسية، أو كلاهما معاً بشكل متعاضد. وقد اخترق مثل هذا الوعي كل أنواع وعناصر الاختلافات الجزئية، فامتدت التقيّة، إلى داخل التقية، كما رفض الاختلاف ضمن حيز الاختلاف. أي أن المجتمعات المغلقة أصبحت تمارس ثقافة التقيّة داخل منظومتها الفكرية النمطية السائدة، كما أن الاختلاف الذي تصرّح بأحقيته كل التيارات على اختلاف مشاربها، ترفضه ضمن منظومتها أيضاً.

لقد درجت العادة على اعتبار الاختلاف شقّاً لعصى الطاعة، ولهذا المعنى أبعاد سحيقة في اللغة والثقافة، فالطاعة من العبودية، والطاعة لله في الدين، واختلاف الناس يعني الانشقاق والانقسام وتشتيت الآراء. إذاً، فشقُ عصى الطاعة للخليفة أو الحاكم، يتم بالاختلاف عنه بالرأي، وذلك يفرض أن الرأي السديد أو الرأي بحدّ ذاته ملك للحاكم. والذي مازال يظهر إلى الآن على شكل (خليفة) أو قائد (أسد) مفدّى لا بديل عنه. وهكذا يتحتّم على المجتمعات (القطيعية) أن يتبنوا آراء الحاكم، ويعيشوا حياتهم وفقاً لتصوراته. كما يتوجب عليهم بالمقابل أن لا يكون لهم مثل هذا الحق؛ الرأي. كل ذلك منعاً للفتنة، والفتنة أشدُّ من القتل! وهنا قد يحمّل الرأي تبعات التجريم العظيم، وارتكاب الكبيرة، وبالتالي الفسق، أو حتى الكفر، وبمعايير أخرى الخيانة والعمالة؛ ليس ثمة فرق.

ليست المشكلة محصورة فقط في المركزية القارة في عقول الناس، بل تتعداها إلى نمط الوعي التي أنتجته، وتنتجه باستمرار. إذ ليس هناك اختلاف دون وعي كامل بأهمية الاختلاف.

ولعل ميراثنا الثقافي غزير بالتصورات (المعرفية) التي وإن كانت تؤكد على وجود الاختلاف، إلا أنها من جهة أخرى تبيّن أن الحق مع فئة ناجية من بين الفرق المختلفة الضالّة، هذا ما نجده على سبيل المثال في كتاب (الملل والنحل) للشهرستاني. وهنا لا بد من القول إن نقداً جذرياً للمجتمع وللميراث الثقافي لابدّ من خوض أتونه؛ فالدعامة الفكرية لهذه الدعوى تجد سنداً لها في التراث وفي اللاشعور الجمعي. فالحقيقة أحادية، تقوم عليها سلطة واحدة، مطلقة. وهذا ما لا يمكن أن نستند إليه ونحن ندعو إلى مشروعية التعدد وإرساء مبدأ الحق في الاختلاف، وما يترتب على ذلك من تعاقدية النظام السياسي، وتداول السلطة، إلى غير ذلك من المبادئ والقيم التي نسعى اليوم لإقرارها لتتنزل فينا منزلة التقاليد المستحدثة. إنها قضية نضال ديمقراطي، إلا أنها أيضاً، وقبل ذلك، قضيّة نضال ثقافي، أي نقد جذري للدعامة الفكرية التي يرتكز إليها أي نظام استبدادي ويجد لها سنداً في الميراث الثقافي: أي ادعاء ملكية مزدوجة للسلطة والحقيقة، وبالتالي إلغاء كل مشروعية للاختلاف.

إن الثورات اليوم لا تقف حدودها عند تغيير نظام سياسي، أو اجتماعي، بل هي كفيلة بنقد عام وجذري للثقافة السائدة، ما خفي منها، وما هو ظاهر. بل إنها تعمل على إخراج البنية القديمة بكل تناقضاتها إلى السطح، وعلى التاريخ أثناء سيرورته مهمة الانتصار للواقع، وللطبيعة البشرية، كلّ ذلك في سبيل الوصول إلى بناء الإنسان، الذات، المتميز، ومراعات كل أنواع الاختلافات بين الأفراد، ابتداء من التربية والمناهج في التعليم وانتهاء بالشكل السياسي للمجتمع.

يغدو هذا محصلة وعي جماعي ونتيجة تجربة مريرة لا بد لمجتمعاتنا من اعتناقها.

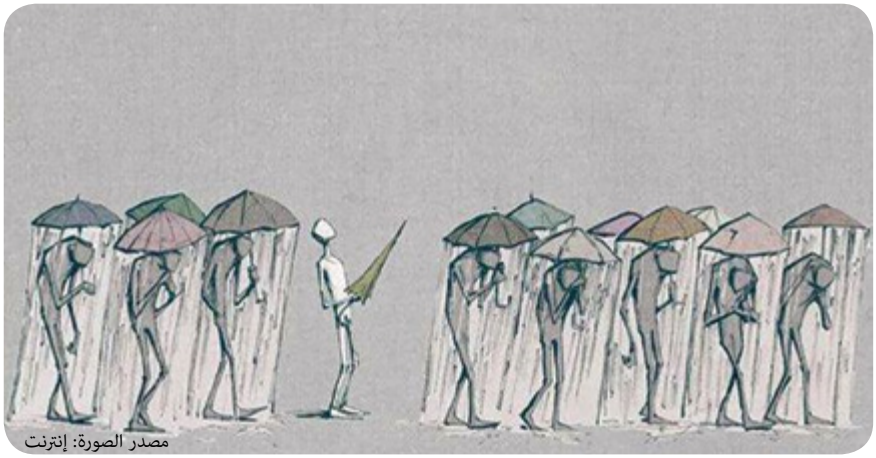

مصدر الصورة: إنترنت

قراءة في كتاب "الحريّة": ما الجديد؟

شوكت غرزالدين

صدر مؤخراً عن (بيت المواطن للنشر والتوزيع) من ضمن سلسلة (التربية المدنيّة)، كتاب بعنوان (الحريّة: من سماء الفلسفة إلى أرض السياسة)، للكاتب السوري (ماهر مسعود). وعلى اعتبار أن التناصت والتجابه والمتابعة من أفضل الوسائل للتعامل مع الكتب والإشكاليات المعرفيّة، للتقدم في العمليّة المعرفيّة؛ أقدّم رأيي فيه وفي إشكالية الحريّة كإشكالية معرفيّة- وجوديّة في آنٍ.

إنه كتاب صغير نسبياً من حيث الحجم؛ فعدد صفحاته 95 صفحة من القطع المتوسط، ولكنه كبير من حيث المدلول والإشكالية ومستوى النقاش. ويصدق فيه المثل القائل: "خير الكلام ما قلّ ودلّ". ويهدف لإثراء النقاش في إشكالية الحريّة وتوظيف الحريّة في النهضة والتقدم، وذلك من خلال نقاش نقدي يتوخّى تفكيك الخطاب السائد والفعل المرتبط به.

ينقسم الكتاب إلى محورين ومقدمة: الأول منهما "في مفهوم الحريّة وسمائها الفلسفي"؛ ويناقش فيه الكاتب "معنى الحريّة وتعيّنات المعنى" أولاً، و"الحريّة ومشكلة الوعي" ثانياً، ثم "الحريّة والفرديّة" ثالثاً. أمّا المحور الثاني فيتحدث عن "أرض الحريّة"؛ تلك الأرض المرتبطة بالسياسة من جهة، والدولة من جهة ثانية، والدين من جهة ثالثة.

يحاول الكاتب الالتصاق بالحالة المأسوية التي يمرُّ بها السوريون؛ ليفكّر في الحريّة بحريّة، وليقول ما الحريّة؟ وما "الخوف من الحريّة"؟ فيعيد بأسئلته القديمة- الجديدة طرح البدهيات مجدداً، وتحليل مفاعيلها تحليلاً نفسياً، ومن ثم إلباسها إجابات وظيفيّة تناسب حاجات الواقع. فيربط بين سماء الفلسفة وأرض السياسة من جديد نقيضاً للفصل الدارج بينهما. وذلك بمناهج متعددة -كما هو مألوف في التفكير الحديث- فينتقل من المنهج الجدلي إلى المقارن إلى الوظيفي إلى التحليل النفسي بيسر وسهولة. والجديد الذي يقدّمه الكاتب يتمثل في التأكيد على "الحريّة من ..." والانتقال إلى "الحريّة لـ ...". والتقاط سلبية "النسبيّة والخصوصيّة" في تأسيس الوعي العربيّ -ولاسيّما السّوريّ منه- بالحريّة. واستخدام "التحليل النفسي" لتسليط الضوء على اللاشعور الفردي والجمعي السّوري في قرفه وخجله وخوفه من الحريّة. والانتقال بالحرية من السؤال الأكاديمي إلى الضرورة الحياتية، إلى الآن، وهنا.

الحريّة من المفردات التي تمّ تداولها سورياً بشكل كبير نسبياً على مدار ما يزيد على أربع سنين. ورغم عدم وجود "ميتافيزيقا الحريّة" عربياً وسورياً إلا أنَّ الثورة السوريّة سُميت بثورة الحريّة والكرامة. فنجد من السوريين من قدّس المفردة وافتخر بها، ومنهم من دنّسها واستهزأ بها وهزئ منها. أما الكاتب فيرصد هذه الوقائع بالتحليل النفسي ويقارن بين الحضارة الغربية وبين الحالة الراهنة عندنا ويخضع الأفكار لقراءة جدلية ويوظفها لصالح الخروج من حالة العبوديّة والخروج من حالة الخوف من الحريّة؛ ليتسامى بالحريّة إلى مستوى المفهوم الفلسفي ويقيم العلاقات ذهاباً وإياباً فيما بينها وبين واقعنا الراهن.

يتكئ الكاتب على عدد من الفلاسفة الذين تناولوا مشكلة الحريّة من أمثال هيغل ونيتشه وماركس وسارتر وكامو وماركوز، وعلى مفكرين عرب من أمثال عبدالله العروي وياسين الحاج صالح وبرهان غليون. ويقدّم جديداً في خطاب الحريّة يتجاوز أنها "وعي الحرية" عند هيغل ليراها "حرية الوعي" أولاً. أو أنها الضرورة المفهومة جيداً ويخرجها من الإطار الديني بعد نقد هذا الإطار ليقدّم رأيه بمعنى الحريّة ضمن المأساة السوريّة.

ينظر الكاتب للحريّة بوصفها "مفهوماً مثالياً مطلقاً" يتحدد بالواقع والنسبي؛ أي بفعل التحرر عبر التاريخ. ويؤكد على أنها مفهوم تاريخي يتعلق بالزمان والمكان وفاعلية البشر ونوع القيود والحتميات السائدة في حينه. وهي أيضاً مفهوم إنساني لا معنى له خارج الوجود الإنساني.

يميز الكاتب بين "التحرر من" وبين "التحرير لـ"؛ أي بين المفروض الخارجي على الفعل الإنساني كالاستبداد، وبين المفروض الداخلي الذي يفرضه الإنسان بإرادته على تلك الضرورات ويكون مضاداً لطبيعة هذه الضرورات الخارجية، كخلق قيم مضادة للاستبداد؛ وذلك لأنَّ الحريّة كمفهوم مطلق تَستبطن وتُدمِج الضرورات المختلفة التي تنقلها من مجال سلبي إلى آخر إيجابي. يقول الكاتب: إنَّه "الانتقال مما تفرضه تلك القيود والضرورات على الحياة والفعل الإنساني، إلى ما يفرضه هو بإرادته الحرّة على تلك الضرورات من فعل تحريري جديد ومضادّ لطبيعتها. وهنا تصبح الحريّة فعلاً مسؤولاً أكمل انفلاته من قيد الضرورة بإنتاج المعنى لذلك الانفلات وللضرورة عينها، وإنتاج قيمة للفعل التحرري تضبطه وتنضبط به بوصفها قيمة عليا تحررية" ص13.

الحريّة إذاً هي سيرورة فعل التحرر الناقص دائماً.

يقول: "الحريّة بمعناها المجرد ليست قالباً جاهزاً يمكن تطبيقه خارج شروط الموضوعية وخارج الزمان والمكان، بل هي نوع من التراكم الكمي والنوعي لتجربة الحريّة والتحرر على المستويين الفردي والجماعي، ونمو لطاقات الأفراد العيانيين، وتنمية لقدراتهم وإرادتهم في مواجهة للمعيقات والصعوبات المتنوعة في الحياة. ولذلك أيضاً فإنَّ التحرر هو فعل ناقص دائماً ويسعى سعياً مستمراً نحو الكمال دون أنْ يصل"ص18-19.

يرفض الكاتب التضاد بين معنى الحريّة وبين تعيناته ويعتبره تضاداً شكلياً. فعلى الرغم من أنَّ الأصل في الأشياء هو الإباحة، إلا أننا نجد العبودية كشرط ملازم للوجود الإنساني واقعياً، وتنمو الحريّة بكسر الحواجز في ذاته وعالمه الطبيعي والاجتماعي والسياسي. ويبيّن كيف استغل النظام السوري النقص الملازم للحرية عيانياً لإشاعة "النسبية والخصوصية" في الردّ على دعوة الحرية لنقضها، وكيف اعتبر هذا النظام أن السوريين ينقصهم الوعي ويدينون بالإسلام وعندهم أميّة وبالتالي لا تلزمهم الحرية بل يلزمهم الاستبداد والتوريث.

يخلص الكاتب إلى أننا نفتقد الحريّة بمعنييها المفهومي والعياني ويقف النظام السياسي الاستبدادي سداً منيعاً أمام تطلعات الحريّة. ولهذا يُحيّي "الربيع العربي" الذي افتتح حياة عربيّة قابلة للحياة راجياً أنْ يخلق العرب حريتهم من جديد.

كيف يستقبل أهالي درعا الشتاء

بين حصار النظام الذي يمنع ادخال المحروقات للمناطق المحررة وبين الغلاء الفاحش للمحروقات والحطب

لبنى صالح

حلّ فصل الشتاء على محافظة درعا هذا العام محملا معه أعباء كثيرة، فالنظام يفرض على المناطق المحررة من هذه المحافظة حصارا منذ أكثر من عامين ونصف ويمنع دخول المحروقات والغاز إليها، الأمر الذي ساعد تجار الدم حسب ما وصف الأهالي لتهريب المحروقات والغاز من حواجز النظام مقابل مبالغ ماليه مرتفعة، بدوره يقوم التجار برفع أسعار هذه المواد إذ يصل سعر جرة الغاز في مناطق درعا المحررة إلى 7000 ليرة سورية، بينما وصل سعر لتر البنزين إلى 400 ليرة، وسعر لتر المازوت يصل إلى 350 ليرة، ويستمر التجار في التلاعب بالأسعار في ظل غياب أي جهة رقابية.

أبو خالد من سكان بلدة النعيمة يقول بأن الدفء في شتاء هذا العام أشبه بالحلم، مبررا ذلك بأن سعر لتر المازوت 350 ليرة سورية وكل أسرة ستحتاج كحد أدنى إلى 6 لترات يوميا، أي بمعدل 2100 ليرة كل يوم، أي ما يقارب 63000 ألف شهريا، بالإضافة إلى غلاء المعيشة وارتفاع أسعار السلع التجارية فمن الصعب وأشبه بالحلم أن نشعر بالدفء هذا الشتاء.

أبو محمد (اسم مستعار) تاجر محروقات ينتقل بين مناطق سيطرة النظام والمناطق المحررة يقول بأن الغلاء في سعر المحروقات هذا العام ناتج عن صعوبة ادخال هذه المواد من مناطق النظام إلى المناطق المحررة، فعند كل حاجز تعبر منه سيارة المحروقات يجب دفع مبالغ مالية مرتفعة كي يمكن تهريبها، وقد يصل المبلغ الذي يطلبه الحاجز على كل شحنة إلى 200 ألف ليرة سورية، وهذا ما يسبب ارتفاع أسعار المحروقات عند وصولها للمناطق المحررة.

أبو حسام من سكان مدينة درعا البلد يقول بأن غالبية الناس في درعا من العام الماضي اعتمدت على الحطب في التدفئة، لأن سعره أقل من سعر المحروقات حيث يصل سعر طن الحطب إلى 45 ألف ليرة سورية، وكل عائلة تحتاج إلى أكثر من 3 طن لتكفيهم فصل الشتاء، أي ما يقارب 135 ألف ليرة، ولكن أسعار الحطب غير مستقرة وتشهد ارتفاعا يوميا، ومن لا يملك ثمن الحطب يعتمد على قطع أشجاره لتدفئة عائلته على حد قوله.

الناشط مهند الحوراني يقول يجب على مجلس محافظة درعا الحر تشكيل مكاتب خدمية تشمل مكتب التموين والمخالفات، وفرض الرقابة على الأسعار ويجب تحديد أسعار للمحروقات وغيرها من وسائل التدفئة مما يتناسب مع الظروف المعيشية، والحزم في تنفيذ الاجراءات المطلوبة للحد من انتشار طمع تجار الدم الذين يستغلون ظروف المواطنين لتحقيق أرباح طائلة.

تتمة من صفحة 8

الهوية سؤالاً جوهرياً في حياة الكثير من السوريين. شريحة كبيرة من موالي النظام يشعرون بالحنين إلى بدايات الثورة. في أحد النقاشات الدائرة على صفحات التواصل الاجتماعي "فيس بوك" يعلق أحد الموالين في نقاش مع آخر معارض: "ما حدا كان ضد المظاهرات كنا كلاتنا مبسوطين بس بعدين قلبتوها إرهاب".

لا يمكننا الحديث عن الاكتئاب دون الإشارة إلى أنه مرتبط في العمق بالعبودية التي ينتجها النظام العالمي الذي يسعى لسيطرة حكم النخبة والاستفادة من الأكثرية العاملة لرفاهه واستعباد الطبقات الفقيرة. إن المسألة برمتها وبأبسط التعابير تتعلق بخلق إنسان منعزل عن الآخر، مليء بالعقد والأمراض النفسية والجسدية من أجل القدرة على استعباده. وبهذا المعنى فإن الثورة وتحرير الإنسان من عبوديته هي العلاج الحقيقي لحالات الاكتئاب، ووفقاً لذلك كان لابد من تحويل الثورة إلى حرب من أجل تصديع صورة السوري عن نفسه وتركه عرضة لنهش الذات وتدميرها سواء بالطريقة المباشرة وهي الاقتتال أو عن طريق إنتاج أجيال محبطة ليس لديها ثقة بصورتها وثقافتها وماضيها ومستقبلها.

تسحرني البحيرة الممتدة في عمق الشاشة، أتخيلها مكاناً مناسباً لكتابة رواية ساخرة تتمحور عن الاكتئاب. علاقة حبيبين يتخللها مواقف وانهيارات تراجيدية، في حين تبدو لصديقهما الثالث شيئاً من التهريج يبعث على الضحك. لكن سحنة صديقي الهارب من الغوطة، الواصل حديثاً لألمانيا تعيدني إلى الواقع. نتحدث طويلاً عن الثورة والمعارك والخيانات. يصمت ومن ثم يقول لي: "هل رأيت صور المجزرة اليوم؟" نصمت مرة أخرى ومن ثم يقول: "مضى أسبوع كامل ولم أخرج من المنزل. أنا مكتئب".

هوامش.

* تعريف عالم النفس أنجرام للاكتئاب: إضطراب مزاجي وجداني يتسم بانحرافات مزاجية تفوق التقلبات المزاجية الأخرى.

* الكثير من الباحثين وعلماء النفس ومنهم إريك فروم يرون الإبداع والتميز لا يتعلقان بميزات فزيولوجية إنما هو نتاج للبيئة الاجتماعية.

* مدخل إلى سكولوجيا الإنسان المقهور "مصطفى حجازي"

* الإدمان هنا لا يعني فقط إدمان المخدرات وإنما إدمان عادات معينة تدفع الإنسان أن يغيب عن الواقع

يا هوى الناس

لينة عطفة

أنزل رجليه عن طاولة المكتب، تمطّى قليلًا اعتدل في جلوسه، خبط بكلتي يديه على الطاولة، وقف شامخًا بشاربيه العسليين، وصرخ بصوته الجبليّ: "يا أبا أزدشير الغالي، أحضر لي العناصر على الفور".

حان الآن بتوقيت الملل موعد إيقاظ العناصر من قيلولتهم والنزول إلى الأقبية في جولة على المهاجع والزنازين، لا لشيء؛ بل لأن الضابط يريد مناظر تصيبه بنوبات ضحك هستيري وترفع رصيد ذاكرته وخياله من الحكايا لينافس أقرانه في السهرات. تجمّع العناصر، البداية كانت صفعة على نقرة أحدهم: "يا بني بكّل أزرار البدلة"، التفت إلى عناصره التفاتة العارف: "انزلوا..." بدأت الجولة، العتم، البرد، الرطوبة، رائحة عفنة، رائحة القماش المبلل العطن، الدم، الوسخ، رائحة البول والبراز، كل تلك الروائح مجتمعة لا تشكّل إزعاجًا لأنف الضابط، لا شيء يشكّل فارقًا لا الروائح لا العتمة لا أصوات الأنين ولا الصراخ ولا أصوات الضرب، بدا الأمر اعتياديًا تمامًا إلى أن تناهى صوت من بعيد صوت عود.. صوت أغنية؛ إنه سعدون الجابر يغني يا هوى الناس، تسمّر الضابط في مكانه تسمّر شعره أيضًا وشعيرات أذنيه، اصفرّ أنفه وتضخّم وصار خرطومًا، همس لأبي أزدشير: "إما أننا نستضيف سعدون جابر في الفرع أو أن كلبًا هرّب راديو للمحابيس؟! من هرّب راديو للمحابيس ولاااااك؟؟!"

التفت إلى العناصر بحقد، تجمّد العناصر، تلعثموا، اختنقوا بالهواء، وأنكروا، واستنكروا، والضابط يرتجف غضبًا، أشار لهم بالصمت ومشى كأنما يمشي على أذنيه، لحق الصوت تبعه كسلوقي وصل إلى الزنزانة الجماعية وبهدوء تراجع قليلاً إلى الخلف، ابتلع نفَسًا ضاعف حجم صدره، ونفخ خديه من الداخل، تهيّأ... وبلبطة واحدة خلع باب الزنزانة. صمتٌ مطبق، تجمّد الهواء، انقطع التنفس، وشُلّت الأجساد المتكوّرة على الرعب أصلًا، لا راديو ولا مسجلة ولا من يحزنون، كل الحكاية أن سجينًا كان يعزف على العود ويغني الأغنية.

"يا هوى الناس.. يا ديوث! من هرّب لك العود يا كلب؟" التفت إلى العناصر: "فتّشوا الزنزانة واشحطوا الكلب وعوده إلى مكتبي". اقتحم العناصر الزنزانة وسط سيلٍ من الشتائم والضرب

المبرح، خرّبوا ومزّقوا كل شيء، فتّشوا الجدران والبلاط والبطانيات العسكرية، صادروا المسابح التي صنعها السجناء من عجو الزيتون، صادروا كيسين من التبغ وزوجًا من الجوارب وتمثالًا من الخبز، ورماد السجائر وشحطوا السجين المسكين مع العود إلى مكتب الضابط ورموه على بلاط الغرفة. لم يقوَ على الوقوف على قدميه، كان غارقًا في الرعب وفي سرد احتمالات الموت بين يديّ الضابط وأنه سيقتله أو يعطبه ويصادر العود. وقف الضابط بشكلٍ هتلريٍّ مسرحيّ وجهه إلى الشبّاك، بقي خمس دقائق يتأمل الفراغ الإسمنتي ثم استدار فجأة وركض إلى السجين الذي لم يجرؤ أن ينبس بحرف، أمسكه من رقبته بلؤم وغضب وصرخ: "أستطيع الآن أن أدفنك في هذه الغرفة تحت قدمي، لكن سأمنحك فرصةً للاعتراف: من الذي هرّب لك العود؟" عرف السجين حقّ المعرفة أن ذاك المعتوه سيقتله بدم بارد، قال له: "سأخبرك بكل شي بكل شيء يا سيدي لكن أرجوك أن تمنحني الوقت والأمان".

نظر الضابط بتوعّد وأفلت رقبة السجين وقال: "عليك الأمان لكن أريد كل شيء بالتفصيل الممل". احتضن الضابط العود برفق وجلس إلى المكتب وضع العود أمامه وأمر السجين بالجلوس قبالته وبدأ السجين: "يا سيدي لم يهرّب أحد محدّد لي العود، هرّبه الجميع لي". انفعل الضابط: "الجميع هنا شريك في الجريمة؟ كيف الجميع؟" أجاب السجين: "أنا صنعت العود بنفسي". فضحك الضابط باستخفاف وقال: "أنت يا ملعون الوالدين؟ كيف؟" ردّ: "المواد كلّها متوفّرة، أنتم تجلبون لنا الطعام بسحارات خشبية، كنت أسرق أضلعًا من السحارة وأحفّها بشفرة الحلاقة أنقعها بالماء، وأشويها بلهب ولاعة السجائر لتنحني كي أصنع قفص العود وألصقت الأضلع ببعضها بالخبز والسكر المذابين بالماء، ومرّة سرقت أرجل سحارتين لأصنع زند العود وفرسه، ونحتّ مفاتيحه من أربعة أقلام رصاص، نسلت خيوطًا من جوارب النايلون وجمعتها لأصنع الأوتار، أما الريشة فقد صنعتها من ياقة قميصي، انظر يا سيدي قميصي مبتور الياقة".

كان الضابط يكتم دهشته وذهوله مع كل كلمة تخرج من فم السجين، أمسك العود، قلّبه بهدوء، حدّق بالسجين بجحوظ: "كيف زيّنت العود"؟ ردّ السجين: "زيّنته بالقماش، ثمة قماش متآكل عندي زينت به العود، إنه عود حقيقي و صوته بديع يا سيدي، صوته حنون وأنا والعناصر بريئون، لم يهرّبه أحد لي يا سيدي". وهنا نظر السجين في عيني الضابط الشاردتين بالعود، شعر بغصة كبيرة، كل ذاك الجهد الذي بذله سيعلّق في بيت الوحش الذي سيوسعه ضربًا الآن، سيزيّن به بيته سيعرضه على ضيوفه ويباهي به أقرانه، وسيتعلم أولاده العزف عليه وربما يهديه لأحد رؤسائه أو يبيعه بمبلغ هائل من المال وربما... "سأتحمل أيامي المقبلة في المنفردة لكن المهم: نجا العود".

رن الضابط الجرس دون أن ينظر إلى السجين، استدعى العناصر ليأخذوه، وقف عنصران عند الباب، تهدّج صوت الضابط: "خذوا هذا الكلب إلى المنفردة". رفعاه من تحت إبطيه وما إن أداروا ظهورهم ومضوا إلى الباب حتى سمعوا خطوًا ملتهبًا ودويّ ضربة هائلة على ظهر السجين أوقعته أرضًا، وتناثرت شظايا العود في المكان وطنين تحطّمه، "أنت صنعت العود؟" صرخ الضابط "أنت صنعت؟! يا حشرة، يا تافه، أنت تحتقر عقلي وتسرق وتستغل ما أمنحه لك، من سمح لك أن تصنع عودًا؟ من سمح لك بالغناء أصلًا؟! سوف أصنع من جلدك عودًا وأعزف عليه يا حقير يا سافل". وأمسك ما تبقى من جسم العود وصرخ: "انظر إليه، هذا هو عودك يا بخش الفن" وهوى به على رأس السجين وبدأ يدوس بشكل هستيري الشظايا وهو يشتم ويرغي ويزبد، انسحب العنصران مع السجين المدمى باتجاه المنفردة.. وكان كل ما بقي من العود؛ الطنين الأخير في رأس السجين من أثر الضربة التي قصمت العود على ظهره.

نشرة ثقافية

نشاطات وجوائز لمبدعين سوريين

طلعنا عالحرية – القسم الثقافي

تدمر الجديدة في باريس

أطلقت مجموعة من السوريين مع مجموعة متعددة الجنسيات "فلسطين، لبنان، فرنسا، بريطانيا، أمريكا" مشروع معرض سوريّ بعنوان "تدمر الجديدة" من ضمنهم المعتقل في سجون النظام السوري (باسل الصفدي) أحد مؤسسي المشروع منذ 2005، ويعنى المشروع بالحفاظ على التراث الحضاري والمشاع الإبداعي، ويهدف إلى جمع كل ما يخص تدمر، عمارتها، تراثها، وفنها، وقام المشروع ببناء مدينة تدمر رقميًا باستخدام الصور والبيانات المتوفرة عنها لدى زوارها ولدى المتاحف والبعثات التنقيبية ومعاهد الآثار في جامعات العالم.

"كمن يشهد موته" في إيطاليا

أعلن الكاتب السوري محمد ديبو عن صدور النسخة الإيطالية من كتابه "كمن يشهد موته" وإطلاقها في المكتبات، الكتاب الذي صدر بنسخته العربية عن بيت المواطن السوري والرابطة السورية للمواطنة عام 2014 ضمن سلسلة "شهادات سورية" وينطلق الكتاب من تشابه أسماء بين المؤلف وأحد الضحايا الذين قتلوا في سوريا، ويتابع منها للانتفاضة السورية وآمالها وأحزانها وقلقها، في مجموعة نصوص متسلسلة تجمع بين اللغة الشعرية والتحليل السياسي.

أيام الكرز في مهرجان دبي السينمائي

أعلن الممثلان السوريان التوأم ملص عن مشاركة فيلمهما "أيام الكرز" في مهرجان دبي السينمائي، الفيلم الذي يمتد لساعة وربع الساعة، وتم إنتاجه بالتعاون مع وزارة الخارجية الفرنسية وجمعية "POUR UNE SYRIE LIBRE" وقد تم تصويره في مدينة معرّة النعمان شمال سوريا، ويتحدث عن اليوميات الجميلة على هامش رمضان وكأس العالم، ويصوّر حياة الناس هناك وتفاصيلها التي لم يسلّط الضوء عليها.

الرقيب الخالد يحصد جائزة مهرجان بي بي سي للفيلم التسجيلي الطويل

فاز فيلم "الرقيب الخالد" للمخرج السوري زياد كلثوم بجائزة أفضل فيلم تسجيلي طويل في مهرجان بي بي سي "BBC ARAB FESTIVAL AWARDS"، وكان مخرج الفيلم زياد كلثوم قد أعلن عن مشاركة الفيلم هذا الشهر في ثلاثة مهرجانات وهي: أيام قرطاج السينمائي في تونس، ومهرجان بي بي سي في لندن، ومهرجان إيطاليا في روما، ويصوّر الفيلم قصّة الرقيب المجند زياد كلثوم حين وجد نفسه مجندًا في واحدة من أكثر الجبهات اشتعالًا "المليحة – الغوطة الشرقية".

جلنار حاجو تفوز بأكبر جائزة عربية خاصّة بأدب الأطفال

فازت الرسامة والكاتبة السورية بجائزة أفضل رسوم عن كتاب "نور تهرب من القصّة" في مسابقة اتصالات وهي أكبر جائزة عربية خاصة بأدب الطفل تصدر عن المجلس الإماراتي لكتب اليافعين، ويذكر أن الكتاب من تأليف عبير علي ومن إصدارات دار الأصابع الذكية – سوريا.

فادي عزّام يقرأ "سرمدة" في سويسرا

في مناسبة خاصّة بعنوان "أمسية سوريّة" أقيمت في زيورخ، قرأ الكاتب السوري فادي عزّام من روايته "سرمدة" وناقشها مع الجمهور السويسري، وناقش مجريات الأمور في سوريا ودور المثقف السوري في الثورة وتأثيره، كما عُرض بعد الأمسية فيلم "اللجاة" للمخرج السوري رياض شيا.

محمد المطرود يناقش الصورة النمطية بين النقد والإساءة في ألمانيا

ضمن ندوة بحثية أقامتها المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة بالتعاون مع المؤسسة المغاربية الألمانية للثقافة والإعلام بعنوان "الصورة النمطية بين النقد والإساءة للآخر – من منظور الحقوق الأساسية وثقافة الحوار"، شارك الشاعر والناقد السوري محمد المطرود من سوريا مع مجموعة كبيرة من الإعلاميين والمثقفين وخبراء القانون الدولي وحقوق الإنسان وشؤون الهجرة ومنظمات مدنية من ألمانيا وأوروبا والمغرب وتونس، وخرجت الندوة بتوصيات هامّة فيما يتعلق بمعالجة الصورة النمطية وتعزيز ثقافة الحوار.

ولادة متعسرة

وافي بيرم

لم أولد صغيرًا أبدًا، ولم أتكوّن من خلال جنين بأصابع طريّة وعيون مغمضة، وحبل سرّيّ متّصل بعالم آخر. قدمتُ إلى العالم هكذا بشكلي الحالي، وكرشي المتقدم عليّ بهدفين، وشعر أجعد، وشامة أسفل الشفة ينبت فيها رهط من الشعيرات السوداوات أخبّئ تحتهنّ خبثي.

قدمتُ هكذا بحقدي وغضبي بدون أي براءة تذكر، أو صراخ بريء لحظة الخروج، بل خرجت صارخًا بالشتائم، أتيت كما أنا؛ طويل يلاحق النساء ويكسر مصابيح الشرفات ويشتم الجدّات وحكاياتهنّ، أعمل "عتّالًا" براتب زهيد عند القهر، وأقوم بأعمال مسائيّة بدوام إضافي تحت رحمة الجنون -جنون هذا العالم- قدمتُ في زمن الحرب، في زمن الجبروت، في زمن رفع الرؤوس على أسوار حدائق الأطفال، في زمن تفتيت الأجساد، في زمن عجن اللحم بالحديد، قالوا لي إنه في يوم مضى كانت هناك إنسانية، قدُّها مرمر وثدياها كوكبان دريان تُسكِر الناظرين، إلّا أن وحشًا عملاقًا أعجبته فاغتصبها، وشرب نخبها مخلوطًا بدماء بكارتها برفقة رجال دين وطاغية.

يدهشني البعض بفرحهم بتذكّر أيام الطفولة والبراءة كما يسمونها، لم أجد مبررًا واحدًا لسعادة طفل، في بيتٍ ربُّه أبٌ حازمٌ تتربع عقدة تشكّلت منذ زمن الأحفوريات أعلى جبينه، يجلس بين أصدقائه واضعًا قدمًا فوق أخرى ليقول: أنا أدخل البيت لأجمّد الهواء في حناجر أهله، ثم ينفض رماد سيجارته وهو يرتجف ويتطلع خوفًا من جدار قد وجه أذنه باتجاهه، أو أستاذ بعصا قدّها من الجنة كما يدّعي؛ يهوي بها على من يفتخرون بتلك البراءة، أو أم خلقت في مهمّة لتلقي الشتائم والضرب يوميًا بحجّة جنحها المكسور، كسروا لها جنحها، ثم نعتوها بذات الجنح المكسور!.

لا لم أكن طفلًا أبدًا، كلّ ما أتذكّره هو أنني أتيت هكذا بلسان بذيء، وحقد وكره وغضب، وأسنان حادّة قطّعت بها كلّ الحبال السريّة المتّصلة بتلك البراءة الغبيّة.

بيدق

سرى علوش

مصدر الصورة: إنترنت

طعنة في الظهر! وجهك القديم المغمور بابتسامات النسيان، ووجهك الجديد الغريب الذي لم أتعرف عليه، والذي يبتكر ألف فكرة وفكرة لقطع حباله الصوتية. وجهك المتقدم على خط الزمن دون أن يتعثر بالأغاني والاقتباسات، ودون أن تفقده محنة الغفران صوابه فتختلط الصور في ذاكرته وينتبه. وجهك الجديد خيانة فاجرة لبنت كنتُها قبل عامين ومازالت تنتظرك هناك في محطة القطار لكي تفترقا أخيرًا بحرفة عاشقين عارفين أم الفراق وقادرين على التعايش معه. وجهك خرق لغوي طغى ضعفه البلاغي على السلام المبتذل والكف التي انقطعت أخبارها عن العرافة مذ انقطع إيمانك بكذبة الأبدية. كان ذلك كافيًا لكلينا لكي نعترف أن فكرة الوقت غير كفيلة بشفاء الجروح التي نفتحها كلما التقينا أو بإيقاظ النسيان النائم من شروده عن مصيرنا؛ مصيرنا الذي ليست لديه أدنى فكرة عما ينتظرنا من ندم يفترس أسماءنا كمجرم متمرس. طعنة في الظهر صوتك! صوتك الغائب اليابس كغريب لا يميز قلبه التاريخ ولا يحركه مربعًا زمنيًا واحدًا.

غيرتنا الحرب. أكلت وساوسنا وألق الكذبات الكثيرة التي رميتها في وجهي كذبة وراء أخرى حتى لم أعد قادرة على هزيمة الوقت وترتيبها والنظر فيها أو اكتشافها. غيرتك الحرب؛ أخذت قلبك ووضعت مكانه لعبة بلاستيكية قديمة تنكسر داخلك كلما تقلبت في نومك دون أن تدري أو تصدق احتمال أن ينكسر داخلك شيء دون أن يؤلمك! لم تغيرك الحرب، ربما لا تغير الحرب أحدًا؛ هي تكتفي بخلع الأقنعة عن وجوه الجميع ومنحهم من الموت ما يكفي للتخلص من نعمة الخجل والامتثال للكوابيس التي يعيشون فيها ويسمونها حياة.

طعنة في الظهر يدك؛ يدك التي ابتسمت لكتفي مرات عديدة وغطت جسدي بضحكاتها الملفوفة بالموج، ثم أطلقت النار عليه حين استدار نحو الفرح ليبرر غفرانه لك، ويقنع الله بحبك الذي لا دليل عليه سوى غيابه. الطعنات لا تقتل. الطعنات تغير اتجاه الريح فقط، وتجعلنا نسلك طريقًا آخر لا مرايا تُزوِّرنا في نهايته، ولا ظلال تنام على أرصفة المدينة التي أضعت نفسك بين فتيات ليلها، ولم تجد بدلاً عنها سوى بيدق أكثر جبنًا من أن يدخل حربًا.

منظمات المجتمع المدني.. الثورة الهادئة

تتمة من صفحة 3

السلام مع "إسرائيل" لم تعرض للأمة بعد أربعين عاماً، وعقود استئجار الحكام الذي فضحتهم ثورات الربيع العربي لا يعرف أحد عنها شيئاً. والشواهد أكثر من أن تحصى، وبقي الأمر على هذه الحال، حتى استحالت الخلافة الراشدة ملكاً عضوداً، استولى فيه المستبدون على الفضاء العام، وحجروه على الأمة، وصارت الأمة دهماء لا تستشار، ولا تستأمر، بل وسِّد الأمر إلى من تجرأ على الأمة وقال: والله لا يأمرني أحد بعد مقامي هذا بتقوى الله إلا ضربت عنقه. وفعلاً طارت أعناق كثيرة بمبررات مختلفة، وحيل بين الأمة وبين المشاركة في إدارة شؤونها، حتى وصلت الأمة إلى ما وصلت إليه، وتولى السلطة فيها خلفاء الغرب الملوك الآلهة، ، فهم لا يسألون عما يفعلون، لا مبدل لأمرهم، ولا معقب لكلمتهم، ولا راد لحكمهم، وبقينا في هبوط والعالم في صعود، حتى اكتشف الأوربيون في صراعهم مع الطغاة قيمة المجتمع المدني فنظموا حركته، وقننوا وجوده، وجعلوه من ثوابت النظام السياسي عندهم، ثم كانت عودة المجتمع المدني ومنظماته سبباً في خلاص الأوربيين الشرقيين من طغيان الشيوعية، الذي دشنته حركة تضامن، فنبتت نابتة المجتمع المدني في بلادنا بسحر قوته في مواجهة الطغاة، وأحس هؤلاء بخطورته، فلفقوا له كل تهمة، واستعملوا في وجهه كل سلاح، فادعوا أنه صنيعة المستعمر ودسيسته، ورأس حربته، وأنه حرب على الدين، ولما لم يجد ذلك، حظروا حركته، وسجنوا رموزه، وأمكنهم ذلك لأن الحركة كانت حركة نخب محدودة، وحسب الطغاة أن الأمر دان لهم، حتى دقت ساعة الحقيقة فقامت الأمة بقضها وقضيضها، من مشرقها إلى مغربها وإن بتفاوت، وتمكنت الثورات من إزاحة الطغاة، وساهمت قوة المجتمع المدني كثيراً في سياق التطورات في كل ثورة، فسارع بعض الطغاة لتقديم إصلاحات يحاصر بها عودة المجتمع المدني أو عودة الروح للأمة، وجرفت قوى المجتمع آخرين، واختلفت سياقات الثورات بحسب قوة المجتمع المدني فيها وطبيعته، ففي المجتمعات التي دمر الطغاة فيها المجتمع المدني تحولت الثورات إلى حروب مدمرة كما في سوريا حيث لم نعرف سوى منظمتي الطلائع والشبيبة! وفي المجتمعات التي فيها بقية مجتمع مدني اتخذت الأمور مساراً أقل تدميراً.

الخاتمة: إن كل ما قيل يتلخص في أمرين:

1 - إن المجتمع الإسلامي كما تثبته وقائع التاريخ، هو مجتمع مدني قبل أن يغتاله الطغاة، وإن النظام الإسلامي يحافظ على مدنية المجتمع، من خلال فريضة المشاركة في الشأن العام. لكن الطغاة زوروا هذه الفريضة، فحولوها لأداة في خدمتهم، بدل أن تكون في مواجهتهم، وانطلى الأمر على كثيرين، فصار الآمر بالمعروف يتكيف، مع استباحة الأمة، وخرم التوحيد من الملوك الآلهة، ويلاحق فتاة لزيها أو شاباً حليقاً.. وهذا غاية التزوير وقمة الضياع.

2 - لقد أعادت ثورات الربيع العربي الحياة للمجتمع المدني، والآن نملك الفرصة لأن نجعل عودته نهائية ودائمة، وذلك من خلال ما يلي:

تحرير معنى المجتمع المدني من تشويه أنظمة الجبر والملك العضود، وإعادة الاعتبار لمجتمع المدينة، وإحياء معانيه ومضامينه.

تنظيم قوى المجتمع المدني في منظمات تعرف دورها وتقوم بواجبها في خدمة الأمة وصيانة المجتمع، ولا عاصم من عودة أنظمة الطغيان من غير مجتمع مدني حي قوي يعبر عن ذاته من خلال منظمات شرعية تستطيع أن تجسد قوة الجمهور بصورة ثابتة ودائمة.

تحرير الفضاء الإسلامي، بالقطع بين مجتمع المدينة مجتمع الأمة، ومجتمعات الملك العضود التالية، حيث حيل بين الأمة وممارسة دورها، والتخلص من كل تزويرات فقهاء السلطان، وسدنة الطغيان.

أعادة الروح لفريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لتكون وظيفة الجمهور في مواجهة جور الطاغية، وليس أداة الطاغية لقمع الجمهور، كما هي ممارسة في بعض كاركاتيرات الدول الإسلامية.

طلعنا عالحرية